﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا ٥﴾ [الفتح: 5]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

لمّا ذكر الله تعالى الفَتحَ بالنَّصرِ وما مَعَهُ، وبيَّن وجهَ هذا النَّصرِ وصورتَهُ؛ علَّلَ عِلَّةَ الدَّليل، وهي قوله سُبحانَهُ: ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾، وعلَّل ما دلَّ عليه مُلْكُ الجنودِ من تسخيرهم وتدبيرِهم؛ زيادَةً في السَّكينَةِ وترشيحًا لها، فقال سُبحانَهُ: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لِّيُدۡخِلَ﴾: (دخل) تدلُّ تصريفاتُه على الوُلوج، ومنهُ الدُّخول، وهو نَقيضُ الخُروج، والدَّخَلُ: العَيْبُ في الحَسَبِ[2]، وداخِلَةُ الإزارِ: طَرَفُه الَّذي يَلي الجَسَد ويَلي الجانِبَ الأيْمَنَ، وداخلةُ الأرض: خَمَرُها وغامِضُها، وجَمعها: دَواخِلُ[3].

2) ﴿تَجۡرِي﴾: (جري) تدور اشتقاقاتُه على انتقالٍ بحركة خفيفةٍ سريعة مسترسلة متَّصلة، كسيلان الماء والدَّم[4]، ومِنه: الجَرْي، وهو المَرُّ السَّريع، وأصلُه كمَرِّ الماء، ولما يجري بجَرْيِه[5]، والجاريةُ: الشَّمسُ، والسَّفينةُ، ويُقال: جاراهُ مُجاراةً وجِراءً، أي: جَرى معَهُ[6].

3) ﴿خَٰلِدِينَ﴾: (خلد) تدلُّ تصريفاتُه على بقاء الشَّيء لازمًا موضعَهُ أو حالَه أمدًا طويلًا، رغْمَ زوالِ نظيره أو قرينه[7]، ومِنهُ: الخُلْدُ، وهو المُكْث الطَّويل، والخُلْد: دَوامُ البَقاءِ في دارٍ

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 18/ 287.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (دخل).
(3) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (دخل).
(4) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (جرى).
(5) الرّاغب، المفردات: (جرى).
(6) الجوهريّ، الصّحاح: (جرى).
(7) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (خلد).

لا يَخْرُجُ مِنها، يُقال: خَلَدَ يَخْلُدُ خُلْدًا وخُلودًا؛ إذا بَقيَ، وأقام، ودارُ الخُلد: الآخِرَةُ؛ لبقاءِ أهلها فيها، وخَلَّده اللّه تعالى، وأخْلَده تَخْليدًا، وقد أخْلَد اللّه أهلَ دارِ الخُلْد فيها، وخَلَّدهم، وأهلُ الجَنَّةِ خالِدونَ مُخَلَّدون آخِرَ الأبد[1]، والعرب تَصِف بالخُلود كلَّ ما تباطأ تَغَيُّره وفسادُه، وكذلك وُصِفت الأيّام بالخوالدِ لِطولِ مُكْثها لا لدَوام بقائها[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُبَيِّن اللّه تعالى في هذه الآيَةِ أنَّه سيُدخِلُ المُؤمنين والمُؤْمِنات جَنّاتٍ تَجْري من تحتِ أشجارِها وقصورِها الأنهارُ، ماكثينَ فيها مُكثًا مؤبَّدًا، ويَمحو اللّه تعالى عَنْهُم سيِّئاتِ أعمالِهم، فلا يُعاقِبُهم عليها، وذلكم عِنْدَ اللّه سُبحانَهُ هوَ الفوزُ العظيمُ، الَّذي لا يُقادَرُ قَدْرُهُ، وهو النَّجاة التّامَّة من كلِّ غَمٍّ، والظَّفَرُ بكلِّ خيرٍ[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى اللّام في ﴿لِّيُدۡخِلَ﴾ ودلالتُها:

تعليلٌ بَعد تعليلٍ

اللّام في ﴿لِّيُدۡخِلَ﴾ من قول اللّه تعالى: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ للتَّعليل، وهي متعلِّقةٌ بفِعْلِ (يزدادوا) مِن قوله سُبحانَهُ: ﴿لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾، فَما بَعْد اللّام عِلَّةٌ لِعِلَّةِ إنزال السَّكينة، فتكون عِلَّةً لإنزال السَّكينة أيضًا بواسطة أنَّه عِلَّة للعِلَّة[4].

دلالةُ التَّعبير عن الإدخالِ بالفِعلِ المُضارِعِ:

تحقُّقُ إدخالِ أهلِ الإيمانِ الجَنَّةَ

عبَّر النَّظمُ الكريم عن فعل الإدخال بصيغة المضارع (يُدْخِل) في قول اللّه تعالى: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن

(1) ابن منظور، لسان العرب: (خلد).
(2) السمين الحلبي، عمدة الحُفّاظ: (خلد).
(3) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص: 511.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 151.

﴿تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾؛ تأكيدًا على وقوعِه؛ إذ المضارعُ في الأصل يدلُّ على الحالِ، فكأنَّ الإدخالَ قد شُرِعَ فيه وقتَ نزولِ الخطابِ؛ تحقيقًا لوقوعه في المستقبَل وقُرْبِ ذلك الإدخالِ.

نُكْتَةُ الإظهارِ في مقامِ الإضْمارِ:

دخـولُ الجَنَّـة عامٌّ لكلِّ مُؤْمِنٍ

في قولِ الله تعالى: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ إظهار في مقام الإضمار؛ وذلك لتَقدُّم ذِكْرِ المؤمنين في قولِ الله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، فكان مقتضى الظّاهر أن يَرِد النَّظمُ القرآنيُّ: (ليدخلهم جنّاتٍ)، ولكن عُدِلَ عن ذلك لإفادةِ العُمومِ؛ إذ لو أُضمِرَ؛ لتُوُهِّم أنَّ إدخالَ الجنَّةِ خاصٌّ بالمؤمنين الَّذين أنزلَ الله تعالى السَّكينةَ عليهم في الحُديبية، فبيَّن سُبحانَهُ بالإظهارِ أنَّ إدخالَ الجنَّةِ عامٌّ لجميع أهل الإيمانِ.

نُكْتَةُ عطفِ ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ على ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾:

تقديرُ دَوْرِ المرأةِ المُسْلِمةِ في خِدْمةِ دينِها

أُرْدِف لفظُ ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ بـ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ في قول الله سُبحانَهُ: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ﴾؛ تقديرًا على أصالةِ دورهنَّ في خِدْمة الدّين، وإزالةً لِتَوَهُّم اختصاصِ هذا الوعد بالرِّجال، ولذا فإنَّ البيانَ القرآنيَّ ينصُّ على المؤمناتِ في المواضع الَّتي فيها ما يوهم اختصاصَ المؤمنين بالجزاء الموعود بهِ، مع كونِ المؤمنات يَشْتَرِكن معهُم، أمّا المواضع التي لَيْسَ فيها ما يوهِم ذلكَ؛ فإنَّه يَكْتَفي بدخولهنَّ في المؤمنينَ[1]، وفي آية الفَتحِ ما يوهِمُ اختصاصَ الجزاءِ بالرِّجالِ؛ لأنَّ الإدخالَ المذكورَ واقعٌ عِلَّةً لِعِلَّة الفتحِ والنَّصْر، وهي مِن ملابَساتِ الرِّجالِ، وإن كان النِّساءُ لا يَخلونَ من مشاركةٍ في ذلك، ممَّن يَقُمن على المرضى والجرحى وسقي الجيش، ونحوِ ذلك، ومن صبرِ أفرادٍ منهنَّ على الثَّكل أو

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 69.

التَّأيُّم، وصبرهِنَّ على غيبةِ الأبناء والآباء والأزواج ونحو ذلك من ذوي القَرابةِ[1].

نُكْتَةُ جمعِ ﴿جَنَّٰتٍ﴾، وتنكيرِها:

عـظَـمَـةُ ثَـوابِ الآخِرة وتَنَوُّعُه

جُمِعَ لفظُ ﴿جَنَّٰتٍ﴾ من قول الله تعالى: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾؛ لِلإيماءِ إلى تعدُّدِها وكثرتِها، وذلك أنَّ الجنَّةَ في الآخرةِ تشتمِلُ على جِنانٍ كثيرةٍ، ونُكِّرت؛ للإشعارِ بتنوُّعِها واختلافِها، وهذا أقوى في التَّرغيبِ، وأنشَطُ لقلوب المتلقّينَ على فعل أسبابِ تحصيلِها، والمراد بإدخالهم الجنَّةَ أنَّه إدخالٌ خاصٌّ، وهو إدخالُهُم منازلَ المُجاهدينَ، وليسَ هو الإدخالَ الذي استحقّوه بمقتضى الإيمانِ وصالح الأعمال الأخرى[2].

دلالةُ التَّعبيرِ بالفعلِ ﴿تَجۡرِي﴾ مضارعًا:

عُبِّرَ بالفعل ﴿تَجۡرِي﴾ مضارعًا في قول الله تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾؛ للإشارة إلى استمرار جريان أنهار الجنَّة، وهذا ممّا يزيد مُتعةَ أهلِ الجنَّة ونعيمَهم.

معنى ﴿مِن﴾ ودلالتُها:

﴿مِن﴾ في قول الله تعالى: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ ابتدائيَّة، أي: إنَّ ابتداء جَرْي أنهار الجنّات يكون مِن تحتِ قصورِها وأشجارِها.

سرُّ إيثار الظَّرف ﴿تَحۡتِهَا﴾، وبيانُ مرجِعِ الضَّمير في ﴿تَحۡتِهَا﴾:

جَـريـانُ أنـهـارِ الجـنَّـة في غـيرِ أُخْدودٍ

أوثِر الظَّرف ﴿تَحۡتِهَا﴾ في قول الله سُبحانَهُ: ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾؛ للإشارة إلى أنَّ مجرى الأنهارِ ليس شديدَ الاتِّصالِ بأرضِ الجنَّةِ على وجهٍ يجري فيه الماءُ في مكان محفورٍ، كما جاءَ عن بعض السَّلَفِ أنَّ أنهارَ الجنَّة تجري في غير أخدودٍ[3]؛ إذِ الظَّرفُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 151.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 152.
(3) ابن جرير الطبري، جامع البيان: 1/ 384.

(تَحْتَ) يُستعمَل في التَّعبير عن المُنفصل، أو ما يمكن انفصالُه، بخلاف الظَّرف (أسفل) فإنَّه يُستعمَل في التَّعبير عن المُتَّصل بعضه ببَعض[1]، ومِمّا هو معلوم أنَّ الأنهار ليست مُتَّصلةً بالجنّات، بل هي منفصلَةٌ عَنها، وإن جمعهما مكانٌ واحد، والضَّمير في ﴿تَحۡتِهَا﴾ راجِعٌ في الجَنّاتِ المذكورة قبلُ في قوله تعالى: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ﴾.

نُكْتَةُ جمعِ ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾:

كثرةُ أنهارِ الجنَّة وتنوُّعُها

جُمِعَ لفظُ ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ من قول الله ﷻ: ﴿جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾؛ للدَّلالة على كثرتِها وتنوُّعها؛ إذ منها أنهارُ عسَلٍ، وأنهارُ لَبَنٍ، وأنهارُ خَمرٍ لَذَّةٍ للشّاربين، وأنهارُ ماءٍ، كما قال الله سُبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ﴾ [محمّد ﷺ: 15].

دلالة (أل) في ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾:

أنـهـارُ الـجـنَّـة نعمَةٌ مستقِلَّةٌ

(أل) في ﴿ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ يُراد بها تَعْريفُ الجِنْسِ[2]، فيكون في قوَّة النَّكرة، ويحتملُ أن تكون (أل) لِلعَهْدِ التَّقديريِّ؛ وذلك أنَّه لَمّا ذُكرت الجنّاتُ؛ استَحْضَرَ السّامعُ لوازمَها ومقارناتِها، فساغَ لِلمُتَكلِّم أن يُشير إلى ذلك المعهودِ، فَجيء بـ(أل)[3]، ويحتمل أن تكون لِلعَهْدِ الخارجيِّ، والإشارةُ فيه إلى قول الله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ﴾ [محمّد ﷺ: 15][4]، ولم تُضَفِ الأنهارُ إلى ضمير الجنّاتِ، بأن يقال: (تَجْري مِن تحتِها

(1) الرّاغب، المفردات: (تحت)، ومحمّد داود، معجم الفروق الدّلاليّة في القرآن الكريم، ص: 158.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/ 107.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 354، 355.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/ 69، والآلوسيّ، روح المعاني: 1/ 204.

أنهارُها)؛ لِما في الإضافة مِن كُلفَةٍ في الكلامِ، ولِلتَّنْبيه على أنَّ نعمةَ الأنهارِ مُسْتقلَّةٌ، فيكون التَّمَتُّع بها تنعُّمًا مستقلًّا لا تبعًا لِلجَنّاتِ[1]، ومالَ ابنُ عاشور إلى أنَّ تعريفَ الأنهار إنَّما هو لِلتَّفنُّنِ؛ لئلّا يُعادَ التَّنكيرُ مرَّةً أخرَى بعد تنكيرِ (جنّاتٍ)[2].

بلاغةُ المجاز في إسنادِ الجَرْي إلى ﴿ٱلْأَنْهَٰرُ﴾:

وَفْرَةُ مياه الجنَّة وكثرتُها

إسنادُ الجريِ لِلأنهارِ مجازٌ عقليٌّ؛ إذِ النَّهرُ في الأصل هو الشَّقُّ في الأرض، وهو لا يَجْري، وإنَّما يجري الماءُ الَّذي فيهِ[3]، فعلاقَةُ المجازِ: مكانيَّةٌ، وفائدةُ المجازِ هاهنا: التَّنْبيهُ على وفْرَةِ المياهِ الجاريةِ وكَثْرَتِها، حتَّى كَأنَّ نفسَ المكانِ يَجْري.

دلالةُ التَّعبير بالحالِ ﴿خَٰلِدِينَ﴾:

بُشرى المؤمنينَ بالخُلودِ في النَّعيمِ

في التَّعبير بالحال ﴿خَٰلِدِينَ﴾ من قول الله تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾، بُشرى للمؤمنين والمؤمنات بالنَّعيم الدّائم غير المنقطع.

فائدةُ التَّعبير بِشِبْهِ الجُملَةِ ﴿فِيهَا﴾:

التَّأكيدُ على خلودِ المؤمنينَ في الجنَّة واستقرارِهم فيها

في التَّعبير بالجارِّ والمجرور ﴿فِيهَا﴾ من قول الله تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ إيماءٌ إلى الاستقرارِ، والانغماسِ التّامِّ في نعيم الجنَّةِ، كما يدلُّ عليه حرف الظَّرفيَّة (في)، فيكون ذلك تأكيدًا على خلودِ أهل الجنَّةِ، واستمرارِ نعيمهم فيها ودوامِه.

دلالةُ العطْفِ في ﴿وَيُكَفِّرَ﴾:

بيانُ الجزاءِ الَّذي أعدَّهُ الله تَعالى للمُؤْمِنينَ

الواوُ في ﴿وَيُكَفِّرَ﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ عاطفةٌ الجملةَ بعدَها على جملةِ: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾؛ وذلك

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 355.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 355.
(3) الجرجانيّ، درج الدّرر في تفسير الآي والسّور: 1/ 124، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 18/ 290.

لما بين الجُملتين من التَّوسُّط بين الكمالَيْن؛ إذِ الجُملتانِ خبريَّتان، وبينَهُما تناسُبٌ في اللَّفْظِ والمَعْنى، فأمّا اللَّفْظُ؛ فلاتِّحادهما في الفعليَّةِ والمضارعيَّةِ، واتِّحاد المسنَدِ إليه فيهما، وأمّا المعنى؛ فلاشتراكِهما في بيانِ الجزاء الَّذي أعدَّه الله تعالى لأهل الإيمانِ.

سِرُّ التَّعبير بلفظِ التَّكفير مادَّةً وصيغةً:

تكفيرُ الذُّنوب عن العِباد سببٌ لِدُخولهم الجنَّةَ

عُبِّر بتكفير السَّيِّئاتِ عَنهم في قول الله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾؛ لرَفْعِ تَوَهُّم أنَّ الجزاءَ الموعودَ به عبادُ الله المؤمنون إنَّما كان باستحقاقٍ تامٍّ؛ ولذا أُشير إلى أنَّه لا سببَ إلّا رحمةُ الله تعالى الواسعةُ بعباده، وتجاوزُهُ عن سيِّئاتِهم، فقال تعالى: ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾، أي: يستُرُ ذنوبَهُم سترًا بليغًا عامًّا، مع ترك المؤاخذةِ عليها، فكان ذلك التَّكفيرُ سببًا لدخولهم الجنَّة[1]، وعُبِّر عنه بالفعل المضارِعِ؛ للإيماءِ إلى تجدُّدِ هذا التَّكفيرِ حتّى يستوعِبَ جميعَ ذنوبهم، فيدخلوا الجنَّة، وهم مطَهّرونَ مِنها مُنزَّهون عَنها.

دلالةُ تَقْديمِ الجارِّ والمجْرورِ ﴿عَنْهُمْ﴾:

الاهتمامُ بالمُقدَّم وإظهارُ شرفه

قُدِّم الجارُّ والمجرور ﴿عَنْهُمْ﴾ على المفعولِ به في قول الله تَعالى: ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾؛ لإرادَةِ الاهتمام بالمُقدَّم، وهم المؤمنونَ الموعودونَ بالجنَّةِ وتكفيرِ السَّيِّئاتِ، ولإظهار شرَفهم.

سرُّ تعريفِ السَّيِّئات بالإضافة، وبيانُ مرجعِ الضَّمير فيه:

جلالةُ مِنَّة الله تعالى على أهل الإيمانِ

الضَّمير في ﴿سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ من قولِ الله تَعالى: ﴿وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾ يعود على أهل الإيمانِ رجالًا كانوا أو نساءً، وهم المذكورون في صدر الآية في قول الله سُبحانَه: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، وجاءَ تعريفُ السَّيِّئات بالإضافة إلى ضمير المؤمنين؛ للدَّلالةِ على التَّخصيص، وذلك أدخَلُ في ثبوتِ صدورِ السَّيِّئاتِ مِنهم، فيكون تجاوزُ الله تعالى عنهم بعد تحقُّقِها مِنهم منَّةً عظيمةً ونعمةً جليلةً.

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 18/ 288.

سرُّ ذِكْرِ تكفيرِ السَّيِّئات بعدَ إدخالِ الجنَّةِ:

تكفيرُ السَّيِّئات مِن لوازم دُخولِ الجنَّة

أُخِّر ذِكْرُ تكفير السَّيِّئات عن إدخال الجنَّة، في قول الله تعالى: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ﴾، مع أنَّ تكفير السَّيِّئات يكون قَبْلَ إدخالِهمُ الجنَّةَ؛ لأنَّ الواوَ لا تَقتَضي ترتيبًا، وبهذا يَرتَفِع الإشكالُ، كما أنَّ تكفيرَ السَّيِّئات والمَغفِرَةَ وغَيْرَهما مِن تَوابع كَوْن المُكَلَّف مِن أهْلِ الجنَّة، فَقُدِّمَ إدخالُ الجنَّةِ في الذِّكْرِ؛ لأنَّه المقصودُ أصالةً، وغيرُهُ تبَعٌ له[1]، كما أنَّ التَّرتيبَ المذكورَ ترتيبٌ في الذِّكْر فحسبُ، لا ترتيبٌ في الوُقوع، وقُدِّم التَّبشير بدخول الجنَّة؛ لكونه الأهمَّ[2].

مَعنى الواوِ في قوله: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾، ودلالةُ فِعلِ الكونِ ماضيًا:

الواوُ بين العَطْفِ والاعتراضِ

الواوُ في ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ مِن قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ يجوزُ أن تكونَ عاطفةً على ما قبلها؛ لِما بينَهما من التَّوسُّط بين الكمالين؛ إذِ الجملتان خبريَّتان، وبينهما تناسبٌ لفظًا ومَعْنًى، ويجوزُ أن تكونَ الواوُ اعتراضيَّةً، والجملة بعدَها اعتراضٌ بين ذِكْرِ جَزاء المؤمنينَ الواردِ في قوله: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾، وبينَ جزاءِ المُنافقين والمُشْركينَ الواردِ في قول الله سُبحانَهُ: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ﴾.

دلالةُ فِعلِ الكونِ ماضيًا:

دخـولُ الجنَّةِ وتكفيرُ السَّيِّئات هـو الـفـوزُ العَظيمُ

عُبِّرَ بفعل الكَوْنِ في قول الله ﷻ: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾؛ لإفادَةِ أنَّ مضمونَ ما تقدَّم من إدخالِ الجنَّة وتكفيرِ السَّيِّئاتِ قد قضى الله تعالى أنَّه فوزٌ عظيمٌ في الأزلِ، وأنَّ الحُكمَ بكونه فوزًا عظيمًا لا يزالُ مستمرًّا؛ حثًّا للمخاطَبينَ على تلمُّسِ أسبابه.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 70.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 284.

دلالةُ التَّعبير باسمِ الإشارَة:

تعظيمُ دخول الجنَّة وتكفيرِ السَّيِّئاتِ

عُبِّر باسم الإشارةِ ﴿ذَٰلِكَ﴾ في قول الله سُبحانَهُ: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾؛ لتصويرِ الأمر العَظيم مِن إدخالِ الجنَّةِ وتَكفير السَّيِّئاتِ في صورةِ المحسوسِ؛ مبالغةً في تعيينه وتثبيته في ذهنِ المتلقّي، وفي إيثار اسمِ الإشارةِ الدّالِّ على البُعْدِ دلالَةٌ عَلى تعظيمه وتفخيمه[1].

سرُّ إيثارِ الظَّرف ﴿عِندَ﴾:

تقويةُ ثِقةِ المُؤمنين بوَعْدِ الله سُبْحانَه

جاء التَّعبيرُ بالظَّرف ﴿عِندَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾، دون (لَدى)؛ لِما يدلُّ عليه الظَّرفُ ﴿عِندَ﴾ من الكَونِ في العِلمِ أو الحُكم، ولو لم يكُن حاضِرًا، بخلافِ (لدى) فإنَّها تختصُّ بما كان حاضرًا[2]، والفوزُ العظيمُ المذكور في الآيةِ - الَّذي حقيقتُهُ إدخالُ الجنَّةِ وتكفيرُ السَّيِّئاتِ - ليس بحاصلٍ في الدُّنيا، لكنَّه ثابتٌ في علمِ الله ﷻ وموعوده، ولذا كان الأنسبُ أن يَرِدَ البيانُ القرآنيُّ: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ﴾، أي: في حُكْمِه وتقديره، ولم يَرِد (لدى الله) الَّتي توهِمُ الحضورَ العينيَّ، والتَّعبيرُ بـ ﴿عِندَ﴾ يُشْعِرُ بثباتِ هذا الفوز العظيم في ميزان الله تعالى وحُكْمه، وإن تأخَّر ظهورُهُ عن الدُّنيا، وذلك يُقوّي الثِّقة بوعد الله سُبحانَهُ، ويُرشِّحُ الرَّجاءَ في قلوب أهل الإيمان.

دلالةُ تَقْديمِ الظَّرف على الخَبَر:

كَرَمُ اللهِ سُبْحانَهُ في مُعاملتِه خَلْقَهُ

قدِّمَ الظَّرْفُ ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ على الخبَرِ ﴿فَوۡزًا﴾، في قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ الواقع حالًا من الفوز[3]؛ تَعْظيمًا واهتمامًا بتلك المكانَةِ العَليَّة، وهذه المُعاملةِ ذاتِ الكرامَة؛ إذ لَقيَ المؤمنون والمؤمنات الفوزَ والظَّفر في مُعاملةِ الله تَعالى لهُم[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 18/ 288.
(2) السّيوطيّ، الأشباه والنّظائر في النّحو: 2/ 235.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 232.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرر: 18/ 288، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 26/ 151.

سِرُّ التَّعبيرِ بلَفظِ الفَوزِ مَصدرًا نَكِرةً، ودلالةُ وصفِهِ بالعظَمَةِ:

تَـفْـخـيـمُ شـأنِ الفَوزِ الأُخرَويِّ

الفوز: هو الظَّفر بالخير والنَّجاح مع حصول السَّلامة[1]، وجاء التَّعبيرُ بالفوز في قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا﴾، وهو مصدرٌ؛ لأنَّ الوصف به أبلغُ؛ لِما يُفيدهُ من التَّمكُّن والتَّحقُّق التّامِّ مِنَ المعنى، حتّى كأنَّ المذكورَ هو عينُ الفوزِ، وجيءَ بالمصدر مُنَكَّرًا في قوله: ﴿فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ لإرادة التَّعظيم، فهو فوز عظيمٌ لا يُدرك كُنْهُهُ، ولا يُبلَغ مداه، ويكون وصْفُهُ بالعظيم بمنزلة التَّأكيد المعنويِّ؛ إذِ العَظَمة مستفادةٌ من التَّنكير، فقوّيت هذه الدَّلالةُ بالوَصْفِ؛ زيادةً في التَّفخيم وتشريفًا له؛ لأنَّه مُنْتَهى ما يُطلَب مِن جَلْبِ نَفْعٍ، أو دَفْعِ ضُرٍّ[2].

دِلالَةُ صَوْغِ الوَصْفِ ﴿عَظِيمًا﴾ على زِنَةِ (فَعيلٍ):

ثبوتُ العَظَمَةِ للفَوزِ ودَوامُها

جيءَ بالوصف ﴿عَظِيمًا﴾ على زِنَةِ (فَعيل)، في قولِ الله تعالى: ﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾؛ لإفادَةِ ثبوتِ الوصفِ لموصوفه ودوامه له؛ إذ لفظُ (عظيم) صفةٌ مشبَّهةٌ، وهي ممّا شأنُهُ الدَّلالةُ على الثُّبوتِ والدَّوام، فدلَّ على أنَّ الفوزَ قَد بلغ في العظَمَةِ مبلغًا لا يُحيط الوصفُ بهِ.

(1) الرّاغب، المفردات: (فوز).
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 127.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والخمسون،
سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 56 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-29-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 56 : المجلد السادس والخمسون، سورة محمَّد من الآية 07 إلى سورة الحُجُرَات الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-29-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9075646 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"